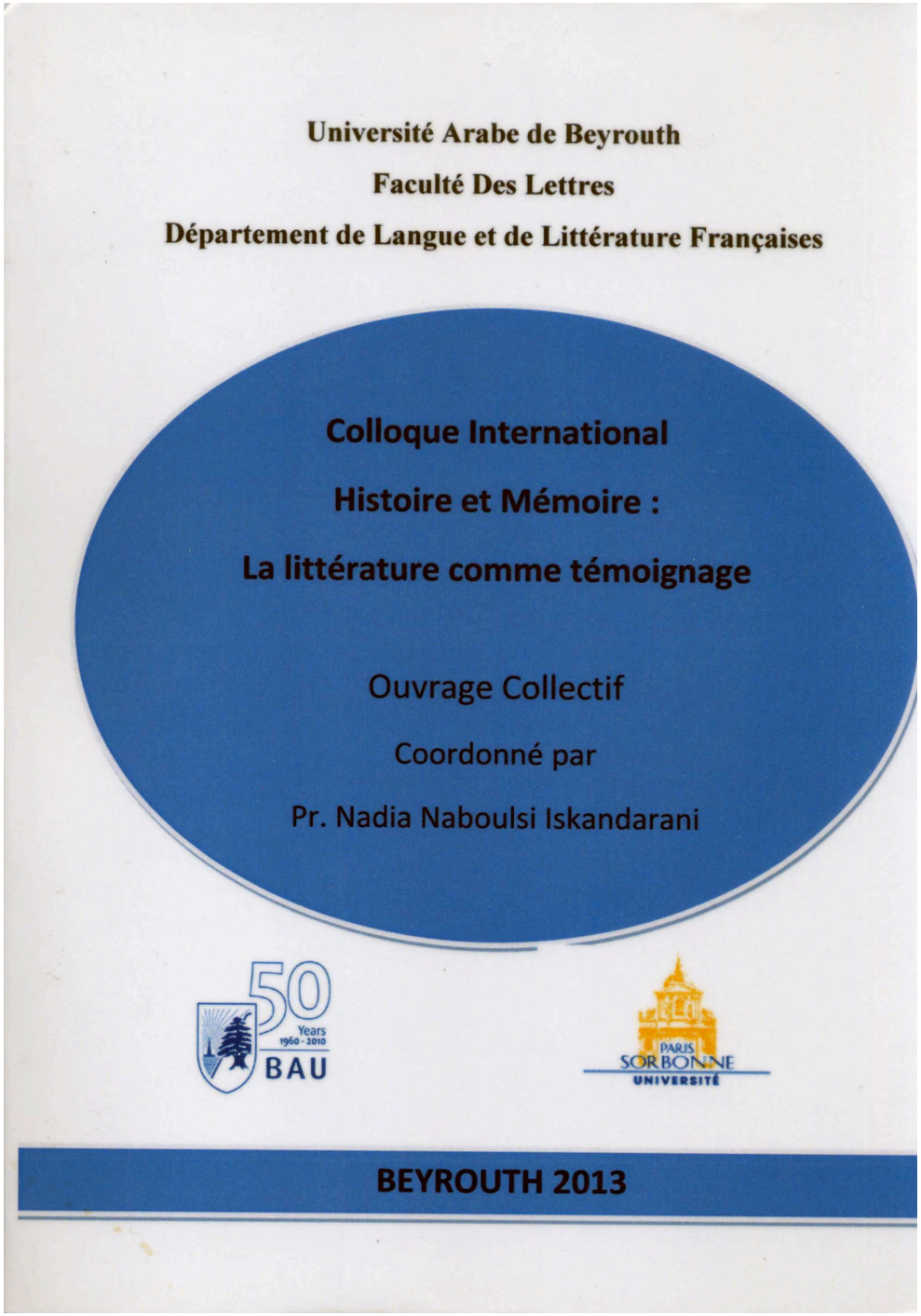

أصداء معاصرة وروى غير تقليدية
لتاريخ المسيحية في رواية "عزازيل"

د. فريدريك لاكرانج
جامعة السوربون – باريس ٤

'We could start, perhaps, with the seemingly simple question, What is History? Any thoughts, Webster?'

'History is the lie of the victors', I replied, a little too quickly.

'Yes, I was afraid you'd say that. Well, as long as you remember that it is also the self-delusions of the defeated.'

Julian Barnes, The Sense of an Ending, 2011.

-ربما بدأنا بالسؤال التقليدي الخادع البساطة : ما هو التاريخ؟ هل لديك فكرة يا "وبستر"؟

أجبت متسرعا

-التاريخ أكاذيب المنتصرين.

-نعم، كنت أخشى أن تقول لي ذلك، فليكن، على شرط أن تتذكر أنه أيضا أوهام المغلوب عليهم .

جوليان بارنز، ما يشبه الخاتمة، ٢٠١١

في البدء كان التاريخ

سبب اختياري لهذا الاستشهاد المأخوذ من رواية بريطانية معاصرة حصلت على جائزة البوكرز سنة ٢٠١١، أي سنة واحدة بعد حصول يوسف زيدان على الصيغة العربية لنفس الجائزة الأدبية، يعود إلى كون الرواية التي أود الحديث عنها ، " عزازيل ١٤٩ " الصادرة سنة ٢٠٠٨، تعد واحدا من هذه الأعمال الأدبية التخييلية التي يتفق النقاد ومنظرو الأدب الحديث على أن تصنف تحت

[١٤٩] يوسف زيدان، عزازيل، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٨.

خانة» الرواية التاريخية«، كما يعود انتقائي لهذه السطور إلى الموضوع الذي اخترته : الأصداء المعاصرة لرواية عزازيل .فرأيت أن الحوار الطريف الذي يجري هنا بين أستاذ التاريخ والطالب الثائر النمطي يعيدنا إلى مسألة أثيرت أكثر من مرة بخصوص الرواية العربية، وهي الأدب كـ"تاريخ بديل" أو تاريخ غير رسمي للمجتمعات العربية، وهذا ردا على مصادرة الخطاب التاريخي من قِبل المؤسسات السلطوية .هذا ما ذهب إليه الناقد الفلسطيني فيصل دراج في مقدمته لكتابه "الرواية وتأويل التاريخ ١٥٠" ، حين يرى أنه أمام إحجام علم التاريخ الرسمي عن البحث في الأصول وعن الاصول، وردا على تخاذله والميله إلى "القول النافع" من أجل إرضاء الأنظمة في مشاريعها السلطوية، تقدم الرواية العربية التاريخ البديل، أو "التاريخ الحقيقي" حسب تحليله .

لا أعلم إن كان هناك تاريخ حقيقي، وأشك في كون الرواية لم تقدم إلا سردا بديلا للسرد الرسمي، إذ أن بنية الهوية الوطنية في الدول الحديثة المتحررة من قبضة الاستعمار ترتكز على كل المنتجات الثقافية، بما في ذلك الرواية، و "السرد الوطني" [national narrative] الذي يخترع هذه الهوية الحديثة ليس فقط انعكاسا لمشروع سلطوي تدبره الدولة العمياء، بل تبلورٌ بطيء ومطرد لعدد من التيارات الفكرية المتضافرة .ولكن يمكننا أن نتوقف لحظة على ما جاء تحت قلم فيصل دراج حين يقول إن المؤرخ العربي الخاضع للسلطة يهمش تاريخ المستضعفين ويوغل في التهميش إلى تخوم التزوير وإعدام الحقيقة، بينما الروائي العربي يقوم " بتصحيح " ما جاء به المؤرخ .هذه الفكرة يمكن أن تتخذ كإطار منهجي لتحليلنا لرواية يوسف زيدان، علما بأن الروائي لا يصحح التاريخ بقدرما يرى أنه يصحح أو يقدم صيغة مغايرة وبديلة، ورؤية قد تخالف ما تم الإجماع عليه

أما ما يتحدث عنه فيصل دراج، في المرتبة الأولى، فهو التاريخ المعاصر أو التاريخ القريب .هذا لا يعني بالضرورة أن الفترة التاريخية الي تقع فيها أحداث الرواية التاريخية العربية هي فترة قريبة، بل أن الأصداء دائما تكون معاصرة وأن للموضوع المختار أصداءً معاصرةً وراهنية ملحة .هذا بالذات ما يلاحظه القارئ عند مطالعته لعزازيل.

قد يكون أول ما يسترعي انتباه هذا القارئ أن العصر الذي اختاره زيدان لروايته، بدايات القرن الخامس للميلاد، هو في حد ذاته عصر " مهمش" في السرد الوطني المصري الذي يفضل التركيز على الفترة الفرعونية أو العصور الإسلامية .أما تاريخ المسيحية واحتضار الوثنية وعصر المساجلات اللاهوتية حول طبيعة المسيح والتكون البطيء للعقيدة المسيحية بعد أن صارت ديانة الامبراطورية البيزنطية، فهو تاريخ لم ير فيه سابقوه من الروائيين مادة خصبة قابلة لأن ينبت منها

[١٥٠] فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٤ .انظر ص ٥-٦.

التشويق اللازم لجذب انتباه جمهور القراء، اللهم سلوى بكر في رواية " البشموري " ، التي تقع أحداثها في عصر الخليفة المأمون غير أنها تتوغل في وصف الفرق والمعتقدات المسيحية في القرون الأولى لحكم المسلمين في البلاد .غير أن تحديد من هم الغالبون ومن هم المغلوبون، من المستضعِف ومن المستضعَف أمر دقيق عند قراءة " عزازيل " . العصر، أي القرن الخامس للميلادهو في حد ذاته عصر منسيّ، كون الجذور المسيحية للهوية المصرية مسألة حساسة في دولة تنادي بوحدة الصليب والهلال كشعار سياسي ولكن لا تكاد تحتفل بهذا البعد المسيحي إلا عند الضرورة.

ولكن مسألة تحديد " المهمش" الذي يجب إعادة النظر في تهميشه لا تتوقف عند مسألة العصر :فإن مستويات التهميش تتراكم في هذه الرواية .فيوسف زيدان، من خلال بطله الراهب هيبا، يلقي نظرة يملأها الحنان والأسى، أسى المؤرخ أمام مرور الزمن واندثار الأطلال، على هؤلاء الذين يسمون بالوثنيين [païens, pagans] سواء أكانوا من عامة الشعب كوالد السارد، الصياد الوثني الذي يقتله الغلاة من المسحيين الجُدُد المندفعين في غوغائيتهم [ص ٤١-٤٢] ويكفي هنا الإشارة إلى وصف زيدان لكهنة الكبش المقدس " خنوم " الذين لا يعون أن إلههم مات منذ زمن بعيد، يذكّر موقفهم بقول محمود المسعدي في " حدث أبو هريرة " قال: "علمت أن الآلهة لا تقام إذا هوت " ؛ فما عسى أن تكونه الرواية التاريخية إلا تمحاولة يائسة لإقامة الهاوين ...أو سواء أكان هؤلاء الوثنيون من العامة أم من علية القوم، كالأستاذة الفيلسوفة "هيباتيا" التي سحلها ومزقها رعاع المسيحيين إربا بمباركة ضمنية من كيرلس بطريرك الاسكندرية، وهو حدث تاريخي مشهور وصفه زيدان في روايته معتمدا على بعض المؤرخين القدامى والمعاصرين .أو سواء أكانوا من الأحياء أو من فلاسفة وأدباء الماضي وأعلام العلوم عند الإغريق، فإن الرواية تحفل بالمؤشرات الدالة على تبجيل بطل الرواية، الراهب هيبا، بالعلم والحكمة مهما كان أصلهما، ومن ورائه نستشف اهتمام، بل افتتان زيدان بهؤلاء الذين أرخ لهم بيير شوفين [Pierre Chauvin] في كتابه "سيرة آخر الوثنيين" .[Chronique des derniers païens] والجدير بالملاحظة أن زيدان عاد إلى نظرته "الحانية" الملقاة إلى الوثنيين في روايته التالية، ربما في شكل أكثر إيلاما، رواية "النبطي" التي تقع أحداثها بين مصر وسيناء ومدينة البتراء في بادية الشام، الأردن حاليا، حيث نشهد التغيرات التي تطرأ على مجمتع "عربي جاهلي" يعيش أصداء ظهور الإسلام من بعيد وأخبار سقوط كعبات الأرباب القدماء .

أما معسكر الخاسرين المغلوبين، فلا يقتصر على صفوف الوثنيين، فإن كانوا هم المهزومون الذين كُتِبَ عليهم التاريخُ الاندثار، فإن الراهب هيبا المسكون بالشك، هذا الشك الشيطاني الذي يسميه عزازيل، يقابل أثناء ترحاله من صعيد مصر إلى منطقة حلب وأنطاكيا عددا من الآباء الأجلاء الذين يمثلون تيارا فكريا ولاهوتيا يعارض التصورات التي صارت سائدة عن طبيعة المسيح، والتي فرضت

نفسها رويدا، أزمة بعد أزمة، مجمعا مسكونيا بعد مجمع مسكوني، هرطقة بعد هرطقة) ولعلها تيارات شتى وليس تيارا واحدا، ولعل توحيدها والتركيز على نقاط الالتقاء بينها شأن يوسف زيدان دون غيره من مؤرخي الأديان .(فتكثر في الرواية مقابلات ومناجات الراهب هيبا مع الأسقف تيودور المضيقصي والقس نسطور، وتحليلهما لأطروحات آريوس قبلهما بقرن، وانهزام نسطور وعزله بعد عجزه عن فرض تصوره للعذراء كأم المسيح" بدلا من" أم الله . دون الدخول في التفاصيل يمكن تلخيص أطروحة الكاتب، التي يلبسها حلة روائية مقنعة، كالآتي : يقدم زيدان في عزازيل صيغة روائية للأفكار التي قدمها بعدها بسنة في مجموعة مقالاته "اللاهوت العربي[١٥١] " ، الصادر أيضا عند دار الشروق، والتي تمزج بين تحليلات تقليدية لدى المفكرين المسلمين الذين تناولوا تاريخ الفرق والنحل المسيحية والذين يرون في بولس السُمَيْساطي [Paul de Samosate] وآريوس ونسطور أصواتا تدافع عن سكة لم تتبعها المسيحية، تميز بشكل قاطع عن لاهوت المسيح وناسوته (أي الطبيعة الإلهية والطبيعة الإنسانية) أو ترفض الاعتراف بطابعه الإلهي، ما يجعلهم جميعا أشبه بما يمكن اعتباره "مسلمين قبل الإسلام" أو على الأقل تيارات فكرية قريبة من الحل الإسلامي الذي ظهر بعدها بقرنين أو ثلاثة قرون، وهم بمثابة "الفرص الضائعة"، أو النهج الذي كان من الممكن أن يُسلك فأهمل .فمن هذا المنظور، يشكل هؤلاء المهرطقون) من وجهة نظر المؤسسة الكنسية (مجموعة ثانية من المهزومين المغلوبين، ضحايا الحسابات السلطوية ومناورات الامبراطورية البيزنطية من جهة، وطموحات اسقف الاسكندرية كيرلس من جهة ثانية .ورأي يوسف زيدان هذا يمكن أن يعتبر امتدادا لما رآه ابن حزم ألف عام، وتطويرا لتحليل مفكرين معاصرين أمثال المفكر المغربي محمد عابد الجابري في "مدخل إلى القرآن الكريم"[ص ٣٨-٥٨] ١٥٢.

أما الرؤية الخاصة بيوسف زيدان والتي لا أدري هل له إليها سابقون، وبصرف النظر عن قيمتها التاريخية أو مدى وجاهتها، إذ أن هذا أمر يخص مؤرخي الأديان، فهي كالآتي، مفسرة في "اللاهوت العربي " ومترجمة روائيا في عزازيل وأيضا وربما بالذات في "النبطي : ١٥٣" لا بد من التمييز بين "تصور عربي" للعلاقة بين الإنسان والإله الواحد أو الآلهة، حيث يتم التواصل بينهما عن طريق الرسل والأنبياء والمرسلين وشتى الكائنات الخوارقية، إنما يفصل بين الإنسان والإله حاجز نوعيّ يمنع الاختلاط بين الطبيعتين ؛ ومن جهة أخرى هناك تصور متوسطي (أي إغريقي ومصري

[١٥١] يوسف زيدان، اللاهوت العربي، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٩.

[١٥٢] محمد عابد الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٦.

[١٥٣] يوسف زيدان، النبطي، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٠.

وروماني) للعلاقة بين الإنساني والإلهي، يتبدى في ديانات اليونان ومصر القديمة وساحل بلاد الشام، حيث يُلاحَظ نوع من التدرج المتصل بين اللاهوت والناسوت، ما يتيح إمكانية الإيمان بأنصاف الآلهة وأولاد الإله من الناس والاتصال الحسي بل الجنسي بين الإله والعبد، فالتلقيح فالتناسل بين الجنسين .
ويرى زيدان أن نجاح "التيارات الهرطوقية" (من منظور مسيحي غير آريوسي أو نسطوري) الرافضة لفكرة "أم الإله" مثلا كان من نصيب المناطق الشرقية، التي تميزت منذ القدم بحضور عربي راسخ راح يتقوى منذ بدايات العصر المسيحي، وهذا قبل الفتوحات الإسلامية بقرنين أو يزيد ؛ بينما يرى زيدان أن الحرص على أن يكون المسيح ذا طبيعة إنسانية وإلهية واحدة لا تتجزأ ولا يمكن الفصل بينهما كان من شأن المناطق الغربية وريثة الديانات السابقة للمسيحية والتي تبيح الاتصال المباشر بين الإله والإنسان، وهي فرضية تجعل من الكنيسة القبطية امتدادا للديانة المصرية القديمة بدون وعي منها، وبالرغم من عداء كنيسة الاسكندرية الشديد لبقايا الوثنية، خاصة في عصر البابا ثيوفيلوس السكندري أسقف الاسكندرية ٣٨٤-٤١٢ وهادم معبد سيرابيس المشهور، وعصر خليفته (وابن عمه) على كرسي الكرازة المرقسية كيرلس .

وهنا تبدأ المصاعب في تحديد من هو، تاريخيا، المهمش ومن هو المهمَش، وما هي الفئة التي يجب إعادة النظر فيها ونصرتها بعد أن ظلمت من قبل التاريخ الرسمي، هذه الفئة التي تأخذ الرواية على عاتقها مهمة إعادتهم إلى الوسط وتسليط الضوء عليها : فإن التنديد بتهميش التيارات العقائدية القديمة المناهضة للعقيدة المسيحية السائدة، أي آراء نسطور ومن قبله آراء آريوس، كل هذه الآراء التي اعتبرت هرطوقية من قبل المؤسسة الدينية بعد مجمع إفسوس، وبالذات من قبل المؤسسة الكنسية "اليعقوبية" التي أصبحت فيما بعد تدعى "الكنيسة القبطية"، هذا الدفاع عن آراء اعتبرت تجديفا منذ ألف وستمائة عام هو بدون شك دفاع عن مهمشي الأمس، غير أنه لا يخلو من خطر : فبدلا من أن تُفهم مناصرة نسطور في رواية عزازيل كخطاب محايد صادر عن روائي-مؤرخ يقدم بموضوعية ما كان من الممكن أن تكون عليه المسيحية لولا مجمع إفسوس ولولا مناورات كيرلس ولولا التحالفات الغامضة التي وقعت بين بابا روما وبطريرك الاسكندرية والامبراطور ثيوفيلوس الثاني عام ٤٣٠ للميلاد، ويقدم بالتالي للقارئ المبصر الفطن بعض الأسباب التي قد تعلل نجاح الدعوة الإسلامية بعد مجمع إفسوس بقرنين، لكون الرؤية الاسلامية تبدو قريبة، حسب الرواية وليس بضرورة حسب التاريخ، من المنظور النسطوري لطبيعة المسيح، بدلا من ذلك كله، يمكن بكل بساطة للقارئ أن يتوسم في الرواية تحاملا صريحا على المعتقدات القبطية، على"الصيغة القبطية" للمسيحية، وإزراءً بأحد أعلام الكنيسة، "مار كيرلس"، قديس الأرثوذكس والكاثوليك معا .

فإن النبرة السائدة في الرواية، المتعاطفة مع نسطور والمنددة بالبابا كيرلس، عدوه اللدود أثناء مجمع إفسوس، تقدم هذه الشخصية التاريخية في صورة شديدة السلبية، رمزا للانتهازية السياسية، لرجل

الدين الذي فضل الدنيا على الآخرة ؟ فلا غرو ان نعتبر ونقرأ هذه النبرة كهجوم شرس "ضد مهمشي اليوم" (أو من يرون أنفسهم مهمشين اجتماعيا وسياسيا على الأقل، سواء وافقناهم على هذا الشعور أم لا) وهم أقباط القرن الحادي والعشرين .فمن هنا أتت ردود الفعل الساخطة من الجانب المسيحي .أضف إلى ذلك أن الكلام عن أصل الإسلام في الأدب الروائي أصبح أو بقي موضوعا محرما إن لم يعالج في صيغة ترضي المؤسسة الدينية متمثلة في الأزهر، قلعة الخطاب المشروع، وإلا تعرّض من يخوضه لشتى اتهامات التجديف، فمن الطبيعي، إن لم يكن بالضرورة مبررا، أن يسلك أرباب الخطاب المشروع عند المسيحيين مسلكا مماثلا لنظرائهم المسلمين ...ولكن، هل حقا فهم الرواية من رأوا فيها مجرد خطاب انتقادي موجه إلى الكنيسة القبطية؟

فإن مسألة التأويل الأيديولوجي للرواية لا تقف عند هذا الحد : حين يصف الراهب هيبا، ومن خلفه الكاتب، غلو المسيحيين وعنفهم وتطرفهم المفزع، سواء في مشهد قتل الوالد، أو مشهد اغتيال هيباتيا أو مجرد حادث تافه كهذا الذي يرد [ص ٦٧-٦٨]، فهل يقصد زيدان مجرد تنديد بهذا الهوس الديني؟ أم ينتوي إسقاطات عصرية لا يصعب كثيرا فكّ تشفيرها؟ من اضطهاد كيرُلس لليهود إلى القس أجش الصوت صاحب الخطبة الزاعقة التي يفرضها فرضا على خراف الرب الذين يصبحون أمامه خرافا بالحق، ألا يتذكر القارئ تصرفات أنصار الإسلام السياسي في أيامنا هذه، وفرضهم للتلاوات القرآنية في جوف الليل عبر مكبرات الصوت لمن يريد أن يسمعها ومن يريد أن ينام ... .

أما مشهد خطبة البطريرك كيرلس أمام جمع المصلين في قداس الأحد واستشهاده برسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس (الأصحاح الثاني) فإنه خير مثال على طريقة زيدان في توصيل رسالته الفكرية الليبرالية، إذ نقرأ [ص: ١٤٦].

"نظر الأسقف في شعبه ورعاياه، وأجال عينيه في الحشد الذي انحشر في ساحة الكنيسة فهتفوا .رفع صولجانه الذهبي فصمتوا .ثم تكلم فقال : يا أبناء المسيح، باسم الإله الحي أبارك يومكم هذا، وكل أيامكم .وأبدأ كلامي بالحق الذي تكلم به بولس الرسول في رسالته الثانية إلى تيموثاوس، حيث يقول له، ولكل مسيحي في كل زمان ومكان : احتمل المشقات كجندي صالح للمسيح يسوع، فالذي يتجند لا ينشغل بهموم الحياة حتى يُرضي الذي جنده، والمجند لن ينال إكليل النصر حتى يجاهد الجهاد الشرعي".

عند مقارنة المقتطف الذي انتقاه زيدان بالأصل اليوناني وبالترجمتين العربية ١٥٤ والفرنسية ١٥٥الشائعتين للإنجيل:

3 : Σὺ οὖ ν κακοπά θησον ὡς καλὸ ς στρατιώτης Ἰ ησοῦ χριστοῦ .

Souffre avec moi, comme un bon soldat de Jésus Christ.

فاشترك أنت في احتمال المشقات كجندي صالح ليسوع المسيح

4 : Οὐ δεὶ ς στρατευό μενος ἐ μπλέ κεται ταῖ ς τοῦ βί ου πραγματεί αις, ἵ να τῷ στρατολογή σαντι ἀ ρέ σῃ .

Il n'est pas de soldat qui s'embarrasse des affaires de la vie, s'il veut plaire à celui qui l'a enrôlé ;

ليس أحد وهو يتجند يرتبك بأعمال الحياة لكي يُرضي من جنده

5 : Ἐὰ ν δὲ καὶ ἀ θλῇ τις, οὐ στεφανοῦ ται ἐ ὰ ν μὴ νομί μως ἀ θλή σῃ .

et l'athlète n'est pas couronné, s'il n'a combattu suivant les règles.

وأيضا إن كان أحد يجاهد لا يكلل إن لم يجاهد قانونيا يتبدى بشكل جليّ كم أراد زيدان، من خلال مراوغته اللطيفة وتحويره البسيط للمعنى (حين ننظر إلى الترجمة العربية الشائعة، بل الشديد إن عدنا إلى الأصل حيث كلمة [ἀ θλῇ τις] مأخوذة من نفس الجذر الذي يستخدم للدلالة على البطل الرياضي[athlete])، مبدلا فعل "يجاهد «بالمصدر» جهاد"، إضفاء صبغة "جهادية" بالمعنى المعاصر للكلمة على خطبة الأسقف كيرلس، موحيا للقارئ هكذا بأن الاستخدام السياسي للدين والمتاجرة به من أجل أهداف دنيوية ليس بالأمر الحديث، ولا هو مرتبط بالإسلام ولا بالمسيحية جوهريا أو حصريا، بل أنها سمة أزلية للعلاقة بين الدين والسلطة .

فيوسف زيدان ينظّر في" اللاهوت العربي" للارتباط الضروري القائم بين الدين والسياسة وما يترتّب عن ذلك من علاقة جدلية بين الدين والعنف، وهو أمر يهتم به في رواياته الثلاث الأخيرة .

---

١٥٤ جمعيات الكتاب المقدس المتحدة، ١٩٦٦.

١٥٥ ترجمة Louis Segond ، ١٩١٠.

هل أساء فهم زيدان كلّ من الإسلاميين الذين رأوا فيه نصيرا لرسالتهم المعادية للكنيسة القبطية، من جهة، والقسوس الذين ردوا على ما رأوه بهتانا وأكاذيب تشوه صورة الدين المسيحي وألفوا كتبا تسفه روايته وترد عليها، كالانبا بشوي مطران دمياط ورئيس دير القديسة دميانة في كتابه "الرد على البهتان في رواية يوسف زيدان" المفيد للغاية لضبط الأخطاء التاريخية والعقيدية ؟ أم هل كان المستهدف الحقيقي لكتابه العنف الديني في كل تجلياته منذ القدم حتى الآن؟ وهل تكمن راهنيّة روايته في هذه القراءة "من المستوى الثاني" التي يتوجب على القارئ النخبوي، هذا القارئ الذي يحاوره زيدان حسب قوله في أحاديثه الصحفية؟ على كل حال، الموقف شبه الصوفي الذي اتخذه زيدان من الإسلام السياسي في السنوات الأخيرة بل موقعته الايديولوجية الحالية إزاء الأحداث التي تعصف على أرض الكنانة (فقد نصب زيدان نفسه "مثقفا إعلاميا" منذ سنوات، بما يعنيه ذلك من موقع وصفحة على فايسبوك يبلي فيها بدرر فكره يوميا، وبرامج في التلفزيون إلخ، وفي هذا الإطار قد أعلن بوضوح تام تأييده لعزل الرئيس المخلوع مرسي، كالأغلبية الساحقة من المفكرين المصريين الليبراليين)، وبالتالي القطيعة التامة مع فئة ممن صفقوا له عند صدور عزازيل لأنهم ظنوها نصرا للإسلام وردا على بهتان النصرانية في رأيهم .فبالتالي، يصعب كثيرا تصنيفه كداعية متخفٍ في زي روائي كما يراه من انزعج من الأقباط، ويكفي للتأكد من ذلك قراءة رواية النبطي .

ختاما، وعودةً إلى ما بدأت به هذه المداخلة، أخشى أن يكون الأستاذ فيصل دراج قد ذهب به التفاؤل كل مدى حين رأى في الروائي المؤرخ الحقيقي غير المنحاز للمجتمعات العربية وصاحب الخطاب البديل، فالتاريخ، على افتراض أن يكون مادة محايدة يمكن تخلصها من شوائب الأهواء، وهي فرضية أشك في صحتها أساسا، لا تزال هذه الأداة التي يستخدمها الروائي العربي لقول حقيقته الذاتية، التي لا تقل ولا تزيد وجاهة عن حقيقة غيره، في القضايا التي تشغل مجتمعه.